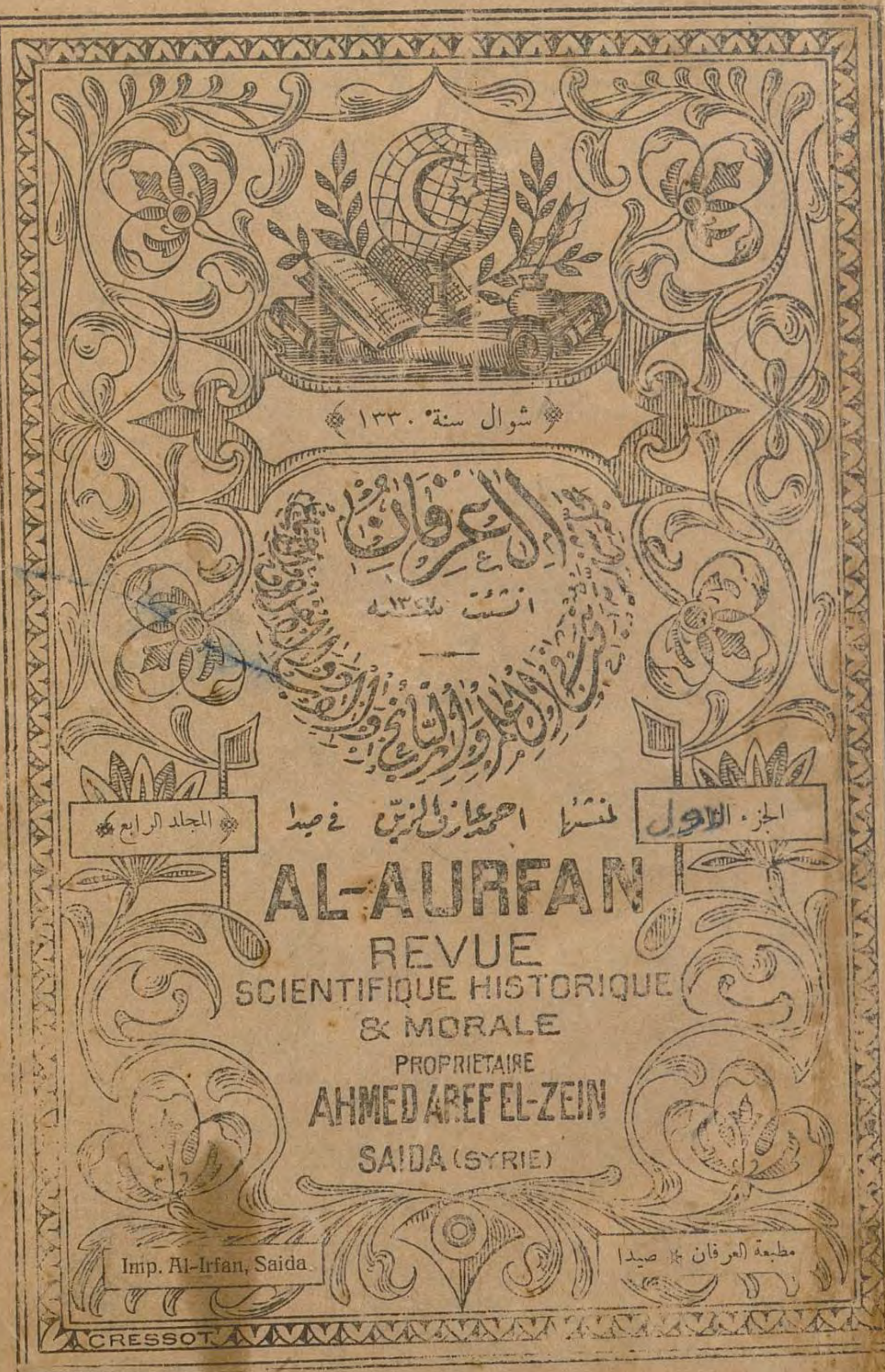


قيمة الاشتراك السنوي ريال … في البلاد العثمانية … فرنكات في البلاد الاجنبية

العرفان

مجلة جامعة

تصدر في الشهر مرة واحدة في صيدا

سنتها عشرة اشهر

= لمنشئها =

احمد عارف الزين

المجلد الرابع

قيمة الاشتراك : — ريال مجيدي في البلاد العثمانية

وخمسة فرنكات في الممالك الاجنبية

AL-IRFAN

Revue universelle mensuelle

Abonnement Annuel: Union Postale Fr. 5.—

AHMED AREF EL-ZEIN, Saïda.

مطبعة العرفان ✲ صيدا   ١٣٣٠

Imp. Al-Irfan, Saida

الجزء الاول ٢٠ المحرم سنة ١٣٣٠ ١٠ كانون الثاني سنة ١٩١٢ المجلد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة الرابعة

احمدك حمدا لا يحصى عدده ، ولا يبلغ امده ، وأصلي واسلم على نبيك الهادي الامين ، وعلى سائر الانبياء والمرسلين ، وبعد فقد قطعت العرفان المرحلة الاولى من طفولتها وهي سائرة من حسن الى احسن بفضل الله وعنايته وقد كثر معاضدوها ،وزاد موءازروها ، فاصبحت حياتها الادبية في حرز حريز ، وحصن حصين ، ولنا الامل الوطيد بأن تكون حياتها المادية كذلك وسوف نبذل ما في الوسع لاختيارأهم المواضيع العلمية والادبية والفنية والعمرانية وغيرها ولا نتعرض بعدئذ للسياسة والاخبار لأن الجريدة قائمة بذلك حق القيام وليست هذه من مواضيع المجلة. اما خطتنا فقد عرفها القراء الذين قطعوا معنا هذه المرحلة من الحياة وستبقى ثابتة بعون الله لاتتغير ولا تتبدل وقد علمتنا التجارب ايضا بان سبيل الاعتدال خير سبيل ، ونحن نشكر في كل آن وزمان من ينبهنا الى خطأنا ويهدي الينا عيوبنا ، والله الهادي الى سواء السبيل



مباحث علمية

عوالم السماء

شموس وعوالم لا تحصى سابحة في هذا الفضاء بعيدة عنا بعدا شاسعا لا يمكن تصوره وتقدم علم الفلك والتصوير الفلكي يجعلنا نكتشف من وقت لآخر شموسا وعوالم جديدة مختلفة عن عالمنا تمام الأختلاف ومباينة لارضنا التي ليست هي الا كحبة تراب في هذا الفضاء اللامتناهي

في السماء الوف من الشموس

تدور الارض في فضاء السماء الواسع كأنها نجمة صغيرة من جملة تلك النجوم المختلفة وانى ادرنا اللحظ نرى مجموع شموس تدور وتتحرك بسرعة مدهشة جدا ولو ابتعدنا عن الارض مسافة مليارات من الكيلو مترات لراينا الشمس كوكبا صغيرا لامعا لا يكاد يرى في العين المجردة وقد برهن لنا علم الفلك بانها بسيطة جدا بالنسبة الى غيرها فهي كجندي بسيط في جيش لجب

ندور نحن مع الفضاء المتسع كيفما دار ونسير معه انى سار والبرهان على ذلك ان لكل نجم من النجوم اجرام أصغر منها تصاحبها وهي التي نسميها سيارات

يدور حول الشمس ثمانية سيارات مهمة عطارد وهو كوكب صغير مختف في الاشعة الشمسية • الزهرة والارض وهما متساويان في الكبر المريخ وهو كوكب تابع للمشتري • المشتري • زحل ذو الحلقات الذهبية اورانوس• نبتون • ولنشرح الآن عن النقطة الشمسية ومكانها بين هذه النجوم واين تذهب الشمس مع تلك الافلاك ؟ التي تغذ في سيرها وهل

هي سائرة مع شموس اخر ؟ اجل ان علم الفلك يجيبنا عن هذه الاسئلة بكل وضوح

المجموع الكوكبي – عند ما صوّب الفلكيون مجاهرهم نحو السماء كانوا في انذهال عجيب لانهم تاكدوا بانه يوجد جانب كبير من الكواكب والنجوم حتى انه يوجد في بقعة صغيرة جدا الوف من النجوم لا ترى في العين المجردة لبعدها الشاسع عنا غير ان المجهر يسهل رؤيتها علينا ومما يبرهن على صحة مدعانا وجود الابراج كبرج الجوزاء والدبران وغيرهما التي تتبعها تلك النجوم وعليه اذا تسنى لنا الوقوف على جزيرة من ارخبيل بعيد عنا جدا فحينئذ تظهر لنا الشمس بانها من جملة النجوم المتالف منها ذاك المجموع السماوي فعليه نحن لا نطوف وحدنا في هذا الفضاء المتسع لان نحوا من خمسماية شمس ترافق شمسنا في طوافها هذا ولا شك بأن لكل شمس حركة خاصة بها غير ان جميعها تظهر بانها تسير على خطة واحدة فمثلها مثل جمهور من الطيور اتحدت في طيرانها وهاجرت من جهة الي جهة ثانية تحسن وفادتها فهل نستطيع في هذا السير السريع الذي هو بنسبة ٢٠ كيلو متر في الثانية الاقتراب من الشموس الاخرى التي ترافق شمسنا؟ كلا فلنكن براحة من هذا الامر لان البعد بيننا وبينها شاسع جدا فلا نجد الى ذلك سبيلا والبرهان على ذلك نسبة اشعة الشمس فمن المقرر ان النور يقطع في الثانية ثلاثماية الف كيلو متر فعليه في اقل من تسعة دقائق يقطع مسافة الارض وفي اربعة ساعات يقطع دائرة نبتون الذي هو آخر سيارة نعرفها • لنفرض بأنا نمشي على خط مستقيم مدة سنة كاملة بهذه السرعة فانا نبقى مشعرين بجاذبية الشمس ويلزمنا مدة اربع سنوات و ١٢٨ يوما للوصول الى اقرب نجم منا وانا نعرف فعلا

مسافة اربعين نجما من النجوم المصاحبة لارضنا حتى ان النور يحتاج الى ١٤٦ سنة لقطع المسافة التي تفصلنا عن تلك العوالم البعيدة وهذا البعد لا يعد شيئًا بالنسبة لبعده الشاسع عن بقية النجوم

تكوين المسكونة — يجب علينا الآن ان نبحث بحثًا دقيقا عن الامر الذي يشتغل به الفلكيون منذ ثلاثماية عام وقد ابتدأ الرساموں يرسمون خارطة السماء منذ ثلاثين سنة فقط وفي كل مرة يرتسم على قزازة الآلة الفوتوغرافية مئات من النجوم

هل وجدت تلك النجوم المتشتة في قبة السماء صدفة او ان هناك قوة رتبتها هذا الترتيب وهل هي متشتتة في دائرة عظيمة او مجتمعة بشكل هندسي مضبوط واذا وجد لها نظام تسير على سننه فاين نحن موجودون وفي اي جهة يكون مركز شمسنا من هذا المجموع الكوكبي ؟ وبما ان الشمس تسير بسرعة ٢٠ كيلومتر في الثانية ففي اي نقطة ترسم دائرتها المتسعة ؟ لنتامل القبة السماوية في احدى ليالي الشتاء الجميلة فيقع بصرنا على سحابة بيضاء ناصعة متسعة منصوبة فوق رؤوسنا تشبه قوسا عظيما وهو ما يسمونه المجره

لو كانت الارض شفافة لكنا نرى المجرة تدور كاطار لكنها ليست شفافة فلذلك نراها احيانا متكاثفة على بعضها من جهة الى اخرى كما يحدث ذلك في برج الطائر واحيانا تحصل انفصالات فجائية تظهر بعدها منافذ سوداء كما يحصل ذلك في بعض الأبراج فعليه من اي مادة متألفة هذه المجاري المنيرة (الفوسفورية) التي تظهر كل ساعة بمظهر جديد؟ اذا صوبنا المنظار الفلكي الى هذه المناظر نجد بأن هناك قسما كبيرا من النجوم

والتصوير الشمسي ينتج نفس هذه النتيجة وكلما اقتربنا نحو الشواطئ او نحو القطبين.تظهر تلك النجوم بعيدة عن بعضها بنسبة ابتعادنا

هذه المناظر جعلت هرشل الفلكي الشهير يعتبرها كقرص محتو على كثير من النجوم فعليه اذا ثبت دلك يلزم ان تكون الشمس في نصف هذا القرص فأصبح تفسير الظواهر الجوية المغمضة سهل جدا

اذا احدق المرء نظره في ذلك القرص من اعلى الى اسفل متبعا سماكته فلا يرى حينئذ نجوما كثيرة ولكن اذا وجه نظره الى اشعة القرص يرى النجوم مرتبة الواحدة تلو الثانية متألف منها شبيه الأطار الذي يحيط من كل جانب وهي تظهر كل آن بمظهر جديد

لم نضرب هذا المثل الا لنقيس عليه كيفية تكوين المسكونة غير انه من المستبعد جدا فهم تحديدات المجرة الاجمالية فضلا عن التفصيلية ولم نتوصل لأسباب ضياءها المنير ومفارقها المتباعدة

كوكبنا اللولبي الشكل — اول من توصل الى ان الشمس موجودة داخل نجمة سديمية لولبية واسعة هو (بروكتور) العالم الفلكي غير ان الرصد لم يكن موجودا آنئذ وكانوا يجهلون تمام الجهل معرفة نجوم السماء

النجوم المجهولة — ننظر من الارض أطار من النجوم لا يصل نورها الينا بأقل من ستماية سنة ومع ذلك لو افترضنا فرضا فاسدا بأنا نتمكن من الوصول الى ذلك الأطار فيلزم للوصول الى اقرب النجوم من الارض الفا سنة وتلك افتراضات لا حقيقة لها في الخارج

لو توصلنا بعد ذلك كله الى تلك النجوم فهل من الممكن ادراك تلك العوالم الموجودة وراءها وهل يوجد شيء بعدها تلك اسرار غامضة لا تدركها عقولنا ولا تصل اليها افهامنا وفوق كل ذي علم عليم

صفحة ادبية

الهزار الشاعر

بي مثل بك ايها المترنم زدني فانت الشاعر المتألم
ياحائماً فوق الغصون ومادرى وقعت عليهن النفوس الحوّم
ومتيما سكن الاراك محلة انا بالإراك وساكنيه متيم
انعم بربعك الاغن معيشة تصحو فتصدح او تنام فتحلم
ولأنت انت دفعتني لهواجس مثلن احبابي فقلت هم هم
ومن العجائب ان ما تتاوه لي سرعان افهم منه ما لا تفهم
اين استقل بك الغرام محبة واخال انك بالطبيعة مغرم
اتراك اعطيت الحقيقة وانجلى لك من وراء الغيب سر مبهم
فرأيت من اسرارها مالا يرى هذا الورى وعلمت مالا يعلم
ابدعت نظم الشعر غير مقيد بعداً لشعر بالقوافي يلجم
ونثرته هزجا واثقل شاعر لا يستجيد الشعر حتى ينظم
ولربما روت الطبيعة شعرها خرساء لا ثغر هناك ولا فم
الشعر شيء ناطق في ذاته او قوة في نفسها تتكلم
صفة يقوم بها الفصيح ويستوي فيها الى صف الفصيح الأعجم
ماحب اهل الحب الا ادمع حمر تسيل على شفاه تبسم
صدر من الاحقاد وهي قواتل خال وقلب بالعواطف مفعم
قوم اذا نسب المحبة ناسب فلهم وان طلب الحنان فمنهم
لا خير فيمن خدرت شهواته اعضاءه فهو الأصم الابكم
ماتت مشاعره فليس بواجد الم الصبابة والصبابة توءلم
اين الغني بشعره وشعوره يجد الذي وجد الفقير المعدم

النجف محمد رضا الشبيبي

صحف تاريخية

تاريخ صيدا

كنا قسمنا تاريخ صيداء الى اربعة اقسام القديم وهو من ابتداء عمرانها الى زمن ظهور السيد المسيح عليه السلام والمتوسط وهو من زمن المسيح الى ظهور النبي العربي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وتاريخها الحديث وهو من الهجرة الى سنة الستين وتاريخها المعاصر وهو من سنة الستين الى يومنا هذا وقد استعدينا على رسوم صيداء الحاضرة سوف ننشرها عند الشروع في التاريخ المعاصر ولم يكن تريثنا في اتمام هذا التاريخ الا لما نتحراه من التثبت في النقل والتنقيب في بطون الكتب التاريخية من عربية وافرنجية ولا نقصد من ذلك الا خدمة الوطن الذي نشأنا تحت سماءه وتغذينا بطعامه وماءه ولئن عقنا وعقه ابناوءه فما نحن له ولهم بعاقين ، واذا هم اساءوا فما زلنا ان شاء الله من المحسنين

بلادي وان جارت عليّ عزيزة

واهلي وان شحوا علي كرام

هـذا وقد وصلنا في السنة الغابرة من التاريخ الحديث الى سنة ١٠٣١ هـ – ١٦٢١ م وها نحن نتمم تاريخها الحديث ثم نتبعه في المعاصر

﴿وعلى الله الاتكال﴾

﴿في كل حال﴾

لم يحدث في القرن الحادي عشر في صيدا حوادث ذات بال وفي الاجمال ان حاكمها كان آنئذ الأمير فخر الدين وولده علي وقد حدث بها سنة ١٣٠٣ ه ١٦٢٣ م « انه قدمها ثمانيه مراكب مغاربة من جهه تونس وكان راس في الميناء مراكب فرنساويه وفلامنكيه فطلبوا منهم عشرة الاف غرش فامتنعوا عن اعطائهم وقربوا مراكبهم لتحت قلعة البلدية فأتت المغاربه على نية الحرب وضربوهم بالمدافع فالشواطىء حمت نفسها واستمر اطلاق المدافع بينهم ذلك النهار بطوله وعند الغروب ذهبت المغاربه ورست المراكب بعيدة عن الميناء وهذا جرى بين المغاربه والفرنساويين . اما مراكب الفلامنك فلم يتعرضوا لها فلما سمع الامير فخر الدين ذلك الخبر رحل من صور الى صيداء ليلا فوصلها عند طلوع الشمس وارسل الى المغاربه قوارب تسألهم عن مرادهم فلما علموا بوصول الامير والعسكر اقلعوا وابعدوا في البحر واقام الامير في صيدا ثلاثة ايام . واخذ معه نصف السكان وتوجه الى بيروت وابقى ولده مع الباقين في صيدا» هكذا ذكر الامير حيدر في تاريخه وفي سنه ١٠٤٣ ه حضر كجك احمد الى صيدا وكتب للأمير يونس بن معن بالامان فنزل من دير القمر الى صيدا . وفي حال وصوله قتله . ثم انه ذهب لحصار مغارة جزين التي اختبأ بها الامير فخر الدين وهي مغارة منيعة في وسط الجبل لا يسلك اليها احد الا على الاخشاب والماء من داخل المغارة وابتدأت النقابين تنقب الجبل من اسفل وصاعد وما زالوا يقطعون في الصخر حتى بلغوا المغارة وملكوها واوثق الكجك احمد الامير فخر الدين واولاده منصور وحيدر وبلك مع مدبريهم ورجع بهم الي الشام وقد أمر السلطان بعد ذلك بقتله وقتل اولاده لكثرة الشكايات عليه . وفي سنة ١٠٤٨ ه تعين احمد آغا الشمالي حاكما على صيدا وبيروت فكمن له الامير علي بن علم الدين وقتله في ارض خلدة وفي سنه ١٠٦٦ ه تولى صيدا وبيروت اسمعيل آغا وفيها مرض الأمير ملحم بن معن في عكا فاحضر بهودج الى صيدا وتوفي بها وتولى صيدا وبيروت سنة ١٠٧١ ه محمد باشا الأرناوط

وقد جعلت صيداء (باشاويه) في تلك السنه وكان اول من تولاها علي باشا الدفتردار وكانت فتنه عظيمه بينه وبين مشايخ المتاوله كما ذكر الامير حيدر وفي سنة ١٠٧٣ عزل منها وتولى مكانه محمد باشا وفي سنه ١٠٨٦ كانت ايالة صيدا

بيد اسمعيل باشا وفي سنة ١٠٩٠ تولاها خليل بن كيوان فبدأمنه ظلم عظيم وفيها توفي الشيخ حمد بن علي الصغير شيخ المتاوله وفي سنة ١٠٩٢ تولاها احمد باشا التفتجي وفي سنة ١٠٩٥ اعزل عنها وتولاها بعد ذلك مصطفى باشا وفي سنة ١١١٠ تولاها قبلان باشا وفي سنة ١١١٩ توفي الامير بشير الشهابي الشهير في بلاد صفد وحملوه الى مدينة صيدا ودفنوه في مدفن آل معن وفي سنة ١١٢٠ كان واليا على صيدا بشير باشا

وفي سنة ١١٣٠ تولاها عثمان باشا ابو طوق ثاني مرة (فكأنه تولاها اولا)

وقد زار صيدا سنة ١١٠٥ هـ العلامة الشهير المرحوم الشيخ عبد الغني النابلسي المتصوف المعروف ونسخ بعض الافاضل رحلته من المكتبه الخديويه في مصر ونحن نثبتها كما هي لأنها من الآثار الجديرة بالحفظ ولا نحذف منها الا بعض الأبيات الشعريه

وكان ابتداء رحلته في غرة المحرم اول شهور سنة خمس ومائه والف من الهجرة النبوية قال

ثم لما اصبحنا في اليوم الثاني والاربعين يوم الاربعا والثالث عشر من صفر زرنا في تلك القريه اي اشحيم نبي الله روبين على ما يقال وهو من اولاد يعقوب عليه السلام فقرأنا له الفاتحه ودعونا الله تعالى عنده ثم سرنا فمررنا على ضيعة صغيرة في جانب الطريق بها قبر يقال انه قبر الشيخ ارسلان رجل من الاولياء الصالحين رحمه الله تعالى وهو غير الشيخ ارسلان الدمشقي المتقدم ذكره فقرأنا له الفاتحه ودعونا الله تعالى ثم مررنا على نهر عظيم يصب في البحر وعليه جسر معقود كالعقد في النحر ثم اقبلنا على السبعة اعين وذلك المرج الاخضر ونزلنا ساعه فطاب لنا المجلس هناك والمحضر وقلنا في ذلك الروض الانضر

نزلنا من حما صيدا بماء طيب نبعه
فكانت اعين السبعه علينا الاعين السبعه

ثم سرنا الى جهه البلاد فخرج الى لقائنا جماعه من اهلها ذوو الفضائل الامجاد ونزلنا في الجامع المعروف بجامع الكتخدا في حجرة هناك لطيفه ونحن في انواع المسرات بنا مطيفه واضافنا تلك الليله الشيخ الفاضل مفخر الاعيان الافاضل الشيخ محمد المعروف بابن قطيش بضم القاف المهملة والياء والشين المعجمة ثم لما اصبح الصباح

و كان ذلك اليوم يوم الخميس الثالث والاربعين وهو الرابع عشر من صفر وردت علينا جماعات من الناس فحصل كمال اللطف والاستئناس ودعانا الى ضيافته الشيخ الصالح الحاج حسين فذهبنا الى داره المعمورة التي هي بانواع الخيرات مغمورة ثم ذهبنا الى زيارة ضريح الشيخ قاسم من اولياء الله تعالى وقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى وقلنا في ذكر مديحه والتبرك بقبره وضريحه

ان صيدا تنير بالشيخ قاسم　　وبه ثغرها مدى الدهر باسم
قد ثوى من في ذراها شهيد　　نور اسراره بدا في المواسم　　الخ

ولقد حضر عندنا مفخر الافاضل الشيخ محمد بن قطيش المتقدم ذكره واطلعنا على قصيدة لصديقنا المرحوم الشيخ العالم الكامل عبد القادر المعروف بابن عبد الهادي العمري الدمشقي مدح بها الشيخ قاسم المذكور لما اتى الى بلدة صيدا وزار الشيخ قاسم رحمه الله تعالى في سنة ثمان وتسعين والف وهي قوله

خليلي في صيدا مطالع للفتح　　وفي حسنها طاب النظام مع المدح
وسل عن شهيد الحق ذلك قاسم　　فان به طير الشهادة في صدح
الخ

ثم راينا قرية بعيدة على جبل عال يقال لذلك المدفون فيها سيدي حنين وهو مشهور بذلك عند العامة وانه من اولاد يعقوب النبي عليه السلام وذكر لنا بعض اهل البلاد ان اسمه حنان وهو المشار اليه بقوله تعالى وحنانا من لدنا وذكر بعضهم ان المدفون هناك انما هو جثة يحيي عليه السلام فقرانا له الفاتحة ودعونا الله تعالى ثم ذهبنا الى زيارة صيدون وهو كما ذكر الحافظ بن عساكر في اوائل تاريخه لدمشق حيث قال قال الشرفي ابن نظامي سميت صيدا التي بالشام بصيدون بن صدقة بن كنعان بن حام بن نوح اه فدخلنا الى مقامه وفيه قبره وعليه قبة مبنية وهناك جلالة وهيبة ووقار وفي خارج ذلك المكان اشجار وفيه الياسمين ولطائف الازهار فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله عنده ولعمري فان صيدا من احسن بلاد الساحل الشامي ذات الاشراق التام والخير السامي وقد قيل ان ارضها تنبت العيون فعساهم ارادوا بذلك عيون النرجس او عيون الماء او عيون الناس اي اعيناهم او تقوي البصر وتحد النظر بصحة هواها وطيب حياها وللأديب ابن الساعاتي وقد هرب غلام له فأمر ان يمر في نرجس صيدا

لله صيداء من بلد لم تبق عندي هما دفينا
نرجسها حلية الفيافي قد طبق السهل والحزونا
وكيف ينجو بها هزيم وارضها تنبت العيونا

(وقد قلنا في شأن صيدا اطراء في الثناء عليها وتاييدا)

صاد قلبي هوى الاحبة صيدا عندما جئت قاصدا ارض صيدا
بلدة طاب رونق البحر فيها فازالت عنا من الهم قيدا
اعجبتني لطافة الماء منها والهواء الذي انبرى ترديدا
ساحل مطلق الجوانب غض يقذف الدر من حصاه نضيدا
فيه صحب لنا هناك كرام كل شهم منهم يلوح فريدا
يحفظون الوداد بالصدق حتى من اتاهم لا يعرف التنكيدا
صانهم ربهم وخص حماهم بالمعالي فلا يزال مشيدا
امد الدهر ما النسائم هبت وسمعنا طير الربى غريدا

ثم ذهبنا الى زيارة ابي الروح وهو شبيب بن ذي الكلاع ابو روح صحابي مختلف في صحبته قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح وقرأ فيها بالروم وتردد فيها في آية اخرجه ابو عمر بن عبد البر وقال هذا مضطرب الاسناد روى عنه عبد الملك بن عمر كذا في اسد الغابة في اخبار الصحابة وذكر الحافظ بن حجر العسقلاني في الاصابة في اخبار الصحابة في القسم الرابع منها بعد ما ذكر عبارة اسد الغابة قال قلت المعروف انه شبيب بن ابي روح الكلاعي الحمصي هكذا ذكره البخاري وغيره وبالثاني جزم بن ابي حاتم وقال انه جهلني وحطني وانه روى عن ابي هريرة ايضا وعن يزيد بن حمير وروى عنه جرير بن عثمان وجماعته واما الحديث فاخرجه بن قانع هكذا وسقط من اسناده رجل فقال وقد رواه الحافظ من طريق عبد الملك بن عمير عن شبيب ابي روح عن رجل له صحبة ومنهم من سماه يعني ذلك الرجل الاغر وتفرد ابو الاشهب باسقاط الصحابي فصارت روايته محتملة عندما ذكر شبيبا الصحابة وهو وهم اه

فدخلنا الى ذلك المقام وابتهجنا بزيارته مع الاجلال والاكرام ومكانه لطيف الفناء عذب الماء وهناك اشجار وازهار واسرار وانوار وعليه قبة معقودة وبهجة مشهودة فقرانا له الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء وجلسنا هناك حصة

من الزمان نحن ومن كان معنا من الاخوان وحصل لنا كمال الصفاء والسرور وغاية النشئة والحضور وقلنا في ذلك من النظام عند ذلك المقام

يا أبا الروح انت للروح روح حيث عرف الكمال فيك يفوح
قد اتينا نزور منك ضريحا طائر السر في ذراه يبوح

الخ

ورأينا في حال ذهابنا الى زيارة ابي الروح المذكور قبة عظيمة تلوح من بعيد كانها كوكب في سماء من المهابة والتمجيد فذكروا لنا ان هناك قرية يقال لها دير بيسيم بكسر الباء الموحده وسكون الياء التحتية وكسر السين المهملة وسكون الياء التحتية والميم من اعمال صيدا وان المدفون في هذه القبة هو نبي الله داود عليه السلام فقرانا له الفاتحة ودعونا الله تعالى وقد اجتمعنا في صيدا المحروسة بمفتي السادة الشافعية هناك وهو الشيخ الفاضل حاوي الفضائل والفواضل الشيخ رضوان بن الحاج يوسف الصباغ المصري الدمياطي وجرت بيننا وبينه مذاكرات علمية ومباحثات فقهية وقد اخبرنا لطف الله به انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام سنة اثنين ومائه والف قبل ان نجتمع به بثلاث سنين في الجامع الكبير العمري بصيدا ورأى الناس مزدحمين عليه وشخص يقول له يارضوان بصريح اسمه ادخل وكلم الرسول صلى الله عليه وسلم فدخل معه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فخاطبه الرسول وقال له يافلان وذكر اسمه اخرج قل عني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارق واعمل ما شئت فانك مجزي به فخرج وبلغ كما ذكر له النبي صلى الله عليه وسلم اه

قلت وقد ثبت له رواية هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق السماع كما ذكر نظير ذلك عن غيره من ائمة الحديث وقد صنفنا في هذه المسئلة رسالة مستقلة جوابا عن سوءال سألنا اياه بعض علماء المدينة المنوره كما سنذكره في محله ونحن سمعنا هذا الحديث ايضا ممن سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فلنا رواية عنه بالسماع وقد انشدنا نحن على البديهة لنا في هذا المقام من التخميس لابيات ابي نواس الحسن بن هاني المشرقي وهو غير ابن هاني الاندلسي المغربي الشاعر المشهور

الا انها الدنيا بدت بمهالك لواقف حال في الورى ولسالك
وقد قصرت اوقاتها في ممالك وما الناس الا هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق
هي المحنة العظمى لمن هي اتلفت وقد امرت كل الانام وما شفت
فكم مهجة يوما عليه تلهفت اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

ثم لما اصبحنا في اليوم الرابع والاربعين وهو يوم الجمعة الخامس عشر من صفر صلينا صلاة الجمعة في جامع الكتخده الذي نحن نازلون في الحجرة التي في خارجه مع اخواننا ثم جلسنا بقرب المحراب منه واقرانا درسا عاما في كتابنا الذى سميناه كنز الحقائق المبين في احاديث سيد المرسلين وصارت ابحاث جليلة تشفي من الطالب غليله وتبري عليله ثم دعانا الى داره حضرة المفتي الشيخ رضوان المذكور وقدم لنا الضيافة العظيمة غب المذاكرة العلمية والمطارحة الادبية وقد اجتمعنا ذلك اليوم بحضرة الوزير المكرم جناب احمد باشا (١) محافظ ثغر صيدا المحروسة وحصل لنا عنده كمال السرور بحضرته المأنوسة ثم لما اصبحنا في اليوم السبت وهو اليوم الخامس والاربعون السادس عشر من صفر حضر عندنا قاضي بلدة صيدا وهو يومئذ جناب فخر العلماء ومجد الفقهاء محمد افندي الرومي وحضر معه جناب الديوان افنديسي المنسوب الى حضرة الباشا محافظ ولاية صيدا بقصد الزيارة فحصل لنا بهما كمال الانس في المذاكرة والمحاوره وطلب منا في هذا اليوم حضرة المفتي الشيخ رضوان المذكور ان نكتب له اجازة في جميع العلوم ليتاكد عنده الملفوظ بالمرقوم فكتبنا له هذه الاجازة وهي قولنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاجازة سبب الاتصال من الخلف بالسلف في طريق الاساتيذ العوال وجرى بذلك ينابيع الفيض في قلوب القابلين من ارباب الاحوال والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده يعني يوصله الى مقامات الجمال والجلال ورضوان الله عن جميع اصحابه

(١) لم ندر من هو هذا احمد باشا ولعله من ولاة صيدا الذين لم نقف عليهم

الكرام الظاهرين بعد الطاهرين الآن ما لمع سراب وآل ورجع عبد الى سبيل
مولاه وآل وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان العلم من اشرف فضائل الانسان وهو
المقام الذي ظهرت به مزية هذا النوع الآدمي على غيره من الجماد والنبات والحيوان
وقد استخدم الله الملائكة الاكرمين في ايصال ذلك الى نوعنا بمحض الكرم
والامتنان ومن شرفه رواية بالاجازة متصلة عن المشايخ الكاملين من بحر العرفان
فانه الطالب بالاجازة يدرك حقيقة العلم ومجازه والراوي بها ولو لعلم الشعر والادب
محصل للبركة والبهاء في علمه الذي اليه انتدب والعلوم كثيرة جدا متعددة الانواع
والاجناس وكلها مطلوبة مرغوب فيها شرعا اذا لم تشتمل على ما نهي عنه ووقع
الذم له بين الناس ويكفي مدحه للعلم قوله تعالى في محكم الكتاب (هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو الالباب) والعلم المطلق شامل لكل
علم فكل علم محمود مرغوب فيه عند الطلاب ولو كان علم السحر ونحوه
مما حضر وغاب وانما المذموم العمل بمقتضى العلوم المنهي عنها شرعا بمضرة ونحوها
والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب هذا وقد طلب مناصديقنا الفاضل صاحب
الفضايل والفواضل مفخر العلماء والعاملين وتحفة الصلحاء الكاملين الشيخ رضوان
بن الحاج يوسف الصباغ المصري الدمياطي المفتي يومئذ بثغر صيدا المحروسة جعل
الله ذاته بالكلمات العلمية والعمليه مأنوسة ان نكتب له اجازة فيما لنا من العلوم
عن مشايخنا الفضلاء الكاملين اصحاب الروايات والفهوم قصدا منه لحصول البركات
فيما هو بصدده من حصول الفضائل وانواع الكمالات تلميحا بالمفهوم من اشارة قوله
تعالى في محكم النصوص (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان
مرصوص) ولا شك ان الصف الواحد يتصل بعضه بالبعض فيكون محكما في
الطول والعرض وتلويحا بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم (ساووا
المناكب بالمناكب والصقوا الكعاب بالكعاب) او كما قال صلى الله عليه وسلم
بتسوية الصفوف بمقتضى اشارة الخطاب فاجبناه بما سأل وطلب من ذلك الامر
المرغوب واجزناه في جميع ما لنا روايته من العلوم على حسب اختلاف الانواع
والضروب فمن ذلك ما هو ثابت في ثبت الشيخ الامام والجد الهمام الشيخ محمد
بن سليمان المغربي الذي جمعه في بلادنا دمشق الشام ورتبه على حروف المعجم اكمل
ترتيب واحسن انتظام وان روى فيه عن بعض مشايخنا السادة الائمة الكرام

فانا نرويه عنه بواسطة اخينا الفاضل جامع الكمالات والفضائل المرحوم الشيخ ابراهيم بن عبد العزيز وقد ذكر الشيخ صاحب الرحله مشايخه الكرام وكتبهم وكتبه مما احتوت عليه سائر الفنون والعلوم والمنطوق والمفهوم الى ان قال رضي الله عنه واجزناه بجميع ما يحدث لنا من الموءلفات في جميع انواع العلوم ونوصيه بتقوى الله تعالى على كل حال وان لا ينسانا من دعائه الصالح والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لانبي بعده وما احسن قول صاحبنا المرحوم مفخر الافاضل وحاوي الفضائل والفواضل الشيخ احمد الصفدي امام الدرويشية والواعظ بجامع بني امية في دمشق المحمية في شان الشيخ الامام والحبر الهمام مفتي دمشق الشام المرحوم علاء الدين افندي الحصفكي لما ذهب من دمشق الى بلاد الروم وجاء بقضاء صيدا المحروسة

ولما ان سما الشيخ العلائي وارغم علمه عمروا وزيدا
فجنح قاصدا للروم يسعى وعاد الى دمشق وصاد صيدا

فلما اصبحنا في اليوم السادس والاربعين وهو يوم الاحد السابع عشر من صفر دعانا الى داره مفخر الاكارم صديقنا لطفي چلبي الكاتب آنئذ بمينة صيدا المحروسة وحصل لنا كمال السرور بذاته اللطيفة المأنوسة ووجدنا عنده هذا السوءال والجواب المنظومين في سلك الاقتضاء لذلك والاقتضاب في حق شرب الدخان من نظم كمال افندي احد العلماء الاعيان عليه الرحمة والرضوان

ما قولكم سادتي في بدعة ظهرت فيا لها بدعة تدعو الى النار
مثل الغمامة في العينين قد نشرت وفي انوف البرايا مثل اعصار
وقد اكب عليها الناس واشتهرت بعد الخفاء بغليون كمزمار
هل جائز شربها فينا فقد كثرت وقيل قد ظهرت من عند كفار
افتوا لسائلكم يا اجرا ذخرت يا اكرم الناس من بدو واحضار

الجواب

يافاضلا قال درا في السوءال على حشيشة شربتها الناس كالنار
جوابها قلته عن حلها كثرت فيه الاحاديث من اقوال اخيار
وبدعة قلت لكن بعضهم شهدوا بان في شربها رفعا لاضرار
وكالغمامة في العينين قلت فما كل الطبائع شكل واحد طاري
الخ

يتبع

فلسفة اجتماعية

جبل عامل

صحيفة من تاريخه العلمي

لجبل عامل سالف مجيد في العلم، وقدح معلى في حلبات الفضل، وشأو بعيد في سماء العرفان، وسلف صالح في عالم التصنيف والتأليف، كان لهم في اطراف البلاد العامليه، معاهد علمية، يتخرج منها افاضل العلماء، ويتوافد عليها الطلاب من كل فج عميق، ويرد مناهلها ظماء المعرفة من كل مرمى سحيق،

وناهيك ان يوجد في هذه الرقعة الضيقة في عصور متقاربة من مدارس العلم ما يربو على العقود وان يكون منها ما هو اشبه بالمدارس الكلية من حيث النظام ومن حيث تعميم الدروس كمدرسة ميس التي كان يديرها الشيخ علي عبد العال الميسي (١) من اكابر العلماء المصنفين والتي كان طلابها يربون على ثلاثمائة طالب من جبل عامل ومن العراق والعجم ومن اطراف سوريا من الامامية واقدم من هذه المدرسة العالية عهدا مدرسة جزين ومدرسة مشغره وهناك مدارس اخرى كمدرسة جبع ومدرسة عيناثا والكرك وبعلبك الى غير ذلك مما لا نحاول احصاء عددها في هذه العجالة ولا نجد متسعا للتفصيل — ومن يتصفح كتاب « امل الآمل » (٢) ويراجع

(١) المتوفي عام ٩٣٣ وهو من اجلة اساتذة الشهيد الثاني

(٢) لمؤلفه الشيخ محمد الحر العاملي من اعيان القرن الحادي عشر

القسم الاول منه وهو المخصص لعلماء جبل عامل والذين ظهروا فيه في آجال لا تزيد على اربعة قرون ونصف قرن اي من القرن السابع الهجري الى اواخر القرن الحادي عشر وهو زمن موءلف ذلك الكتاب يعلم المبلغ الذي بلغه جبل عامل من المكانة العلمية والشوط البعيد الذي ادركه في حلبات الفضل

وقد وجد بعضهم احصاء على ظهر كتاب امل الآمل لموءلفه وهذه صورته

عدة علماء القسم الاول مئتان وتسعون وزيادة يسيرة وعدد رجال القسم الثاني الف ومئة وعشرة وعدد موءلفاتهم الف وخمس مئة وسبع وعشرون

وجاء في مقدمة ذلك الكتاب« وسادسها[١] » كثرة من خرج من جبل عامل من العلماء والفضلاء والصلحاء وارباب الكمال وستعرف جملة منهم مع اني لم اطلع على الجميع[٢] ولا على موءلفاتهم كلها ولا يكاد يوجد من اهل بلاد اخرى من علماء الامامية اكثر منهم ولا احسن تاليفا وتصنيفا ولقد اكثر مدحهم والثناء عليهم القاضي نور الله في مجالس الموءمنين وذكر انه ما من قرية هناك الا وقد خرج منها جماعة من علماء الأمامية وفقهائهم انتهى وقد سمعت من بعض مشايخنا انه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهدا في عصر الشهيد الثاني وما قاربه وستعرف ان شاء الله ان عدد علمائهم يقارب خمس عدد علماء المتأخرين وكذا موءلفاتهم

(١) اي سادس المرجحات لتقديم القسم الاول المخصص لتراجم العلماء العامليين على القسم الثاني

(٢) الف كتابه في بلاد العجم بعد نزوحه عن جبل عامل بعشرين عاما وهذه المدة كافية في تنشئة قسم غير قليل على اكتساب العلم والفضيلة قد لا تتصل به اخبارهم لبعد الشقة بين بلاد العجم وجبل عامل

بالنسبة الى موءلفات الباقين مع ان بلادهم بالنسبة الى باقي البلدان اقل من عشر العشر اعني جزء من مئة جزء من البلدان فظهر ما قلناه »

ان عصر العلم الذهبي في جبل عامل هو عصر الشهيد الاول وما يليه وعصر الشهيد الثاني وما سبقه وتاخر عنه وما زال للنهضة العلمية فيه اثر مجيد بعد عصر موءلف كتاب امل الآمل وتمتد حتى اواخر القرن الثاني عشر الهجري ومن ثم اخذ يتراجع ويستند تراجعه الى السياسة الظالمة التي كان يساس بها وللحكومات الاقطاعية التي كانت تسومه خسفا وعسفا وترهقه ذلا وضيما شأنه شأن الاصقاع السورية التي كانت تساس بهذا النوع من الحكم ايام كانت الفوضى ضاربة سرادقها بالقطر السوري وحكامه يضربون السكان بعضهم ببعض عملا بمبدأ « فرق تسد » وسعيا وراء الاصطياد من الماء العكر

وانما تعمر بيوت العلم حيث تنشر اظلة الامن وتخفق اعلام الراحة والسكينة وسوريا عامة وجبل عامل خاصة لم تكن على شيء من ذلك وخاصة في مدى قرنين كانت تتراوح فيهما بين رياح مطامع الحكام وشعلة الثورات الاهلية التي كان يضرمها بين بنيها اولئك الحكام الطغام — ومن يعلم ان حاكما لبنانيا من الحكام الاقطاعيين استصدر فتوى من بعض العلماء بوجوب محاربة العامليين حربا دينية اخشن في شكلها وصورتها من حرب ذوي الردة استصدر تلك الفتوى الجائرة والتي لا تنطبق على شريعة من الشرائع اذلالا للعامليين وتدويخا لبلادهم وقد اهاج بتلك الفتوى فرقا كثيرة امدته بجيش يناهز العشرين الفا على رواية الامير حيدر الشهابي وعلى رواية العامليين اضعاف ذلك استنفر ذلك الجيش العرمرم المختلط لقهرهم في بلادهم وهم اعزة في ديارهم ولهم وراء قوتهم

التي كان يناهز فرسانها عشر آلاف قوة حليفهم الشيخ ظاهر العمر من يعلم ذلك وما اجلبه احمد باشا الجزار على جبل عامل بخيله ورجله ومصادرته علماءه وتشريد من شرد منهم تحت كل كوكب وغمامة ، وما ساب من كتبهم ، وما جعله منها طعما للنار ، وما ذهب منها طي التراب اخفاءً لها عن عيون زبانيته الاوغاد ، يعلم كيف انتزع منه العلم ، وكيف تقاص عنه ظله ، وكيف اخلقت ديباجته ،

تلك منازع السياسة وهذه آثارها وبمثلها وبما يقارنها من حوادث الظلم وكوارث الجور المريع خوت نجوم العلم من سوريا وكان منها لجبل عامل اوفر نصيب

نعم تجاب الراحة العلم ، والامن يعمر بيوته ، والعدل الشامل يرفع قصوره لم تمر اعوام على مهلك الجزار ، ولم يطوغير زمن يسير على حكمه والادالة منه وقد ولي امر جبل عامل نفر منهلهم ضلع من المعرفة حتى اخذ يستعيد بعض مجده العلمي وعمرت فيه مدارس اكتظت بطلاب العلم وكان اشهرها مدرستان مدرسة جبع ومشيد بنيانها الرفيع العلامة الشهير المرحوم الشيخ عبد الله نعمة ومدرسة حنويه ومؤسسها العلامة العامل خاتمة رجال التصنيف والتاليف ورافع لواء العلم في جبل عامل المرحوم الشيخ محمد علي عز الدين واخذت بعد ذلك تشاد بيوت العلم ولكن لم تكن تعمر كثيرا فكانت كلما هبت ريح مدرسة سكنت الاخرى فاسست في آجال متقاربة مدارس بنت جبيل وعيثا والنبطية الفوقا وانصار والنميرية والنبطيه وحنويه وجبع وشقراء وعيناثا والخيم وقد اخرجت هذه المدارس فريقا من رجال العلم وعلق عليها محبو رقي جبل عامل آمالا كبارا ، وحسبوها خطى واسعة في سبيل العرفان ، وطلائع

لازدهار العلم فيه ، واسترداد سالف ايامه ولكن لم يطل على ذلك المطال حتى جاء الامر على عكس القضية ، وعلى نقيض ما امل المأملون فاخذت المدارس تقفل المدرسة تلو المدرسة حتى اقفلت او كادت تقفل كلها

ما الذي وقف في وجه ذلك الآتي ؟ ولماذا برزت تلك الهمم ؟ وكيف جفت هاتيك العزائم ؟

هل ذهب الشعور من النفوس العاملية بفضيلة العلم ؟ على من تلقى تبعة ذلك الاهمال ؟ هل العلماء وحدهم المسئولون عنه ؟ ام يشاركهم فيه الاعيان واماثل القوم وكل الطبقات ومسئولية كل طبقة على نسبة ما تشغله من المكانة في النفوس العاملية ام هناك اسباب اخرى خفيت علينا وجوهها وعميت طرقها

لاريب ان وقوف قطر يتماوج بسكانه ، ويشغل حيزه الواسع مائة الف او يزيدون وفيه علية الاعيان ، وافاضل العلماء ، موقف الجمود ، وتركه التعليم ، واقفاله المدارس ، وفيها بعض البلغة لتثقيف العقول ، ولتربية الدينية

ان وقوف هذا القطر هذا الموقف من الجمود بغتة وبعد ذلك الاحساس الذي كان منتشرا في نفوس سكانه بوجوب التعليم ، ولو بالمحافظة على القديم ، لمن الحوادث التي لا يصح السكوت عن البحث عن اسبابها ، ويجدر بالباحثين والمفكرين ان يعيروها جانب الاهتمام ، فان مسئلة العلم والتعليم مسئلة المسائل في هذا العصر وفي كل عصر ، وحياة الامم بكل اصولها وفروعها ، وفي كل حالة من حالاتها مرتبطة ارتباطا عظيما بحياتها العلمية

لا ارى ما يراه غير واحد من ان السبب في الاهمال هم العلماء

خاصة او هم والاعيان مشتركان او النشء وحده او الطبقات الاخرى فان واحدا من ذلك لا يصلح ان يكون سببا في هذا الانقلاب الفجائي والتغيير السريع فان العهد غير بعيد على المدارس العاملية التي كانت آهلة بالطلاب امس ، وهي اليوم مقفلة الابواب مقفرة بعد ايناسها ، والعلماء الذين كانوا يديرون بهاحركة التعليم لا يزالون احياء يرزقون ولم يكن التعليم قائما على اعطيات الاعيان ، ونفقات اغنياء القطر ، فحبسوا عن الطلاب اعطياتهم ونفقاتهم ، فهجر هوءلاء مدارسهم ، وغادروا دروسهم ولا كان العلماء ينفقون على الطلاب ، فامتنعوا عن الانفاق ، فتركوا لذلك حلقات العلم ، ولا كان الطلاب ينقدون روءساء المدارس مرتبات خاصة على التعليم ، فمنعوها عنهم ، فامتنعوا هم عن تعليمهم ، لم يكن شيء من ذلك ليرجع اليه امر الاهمال ، فان التعليم كان مجانيا ، والطلاب كانوا يكفلون انفسهم ، واكثرهم قانع بالكفاف وهم اواسط القوم والقسم الاكبر كلٌ على غيره من ذويه اتكالي لا يتبلغ بلغة من العيش الا بشق الانفس

نعم لاارى شيئا من ذلك سببا للاهمال وان كان يراه الكثيرون ممن لم يدرسوا هذه المسالةدرسا عميقا ، ولكنني ارى بعدالبحث الدقيق والنظر العميق ، ان السبب اجتماعي واقتصادي واداري اما الاول فان من الامور المقررة التي لا تقبل المشاحة والجدال ان الامم مهما كان مركزها من الاجتماع صائرة الى وحدة اجتماعية تبلغ بها مستوى متحدا من حيث المزايا الجوهرية ، والخصائص العمرانية ، ومن حيث الرقي الصوري والمعنوي ، ومما لا نزاع فيه ان لكل عصر روحا عامة تفيض خواصها على الكافة فتتبعها في موءثراتها المعنوية من حيث الروح والجسد

وتسير معها مضطرة مقهورة ، مسخرة لافاعيلها ، منقادة لاحكامها ، منفعلة لسننها ، و كل انقلاب يحدث في المجتمع البشري خاصا وعاما هو مقر لتلك المؤثرات الهائلة ، ضروري الحصول عند اجتماع اسبابه المقررة ومن ذلك سير روح قدوة الضعيف بالقوي في مقوماته ومميزاته ، ونزوعه الى مشاركته في مزاياه ، وقد تسير القدوة في الضعيف بالقوي سيرا اضطراريا وعلى غير علم منه بالاقتداء ، فالانقلابات الاجتماعية تتبع الروح العامة في كل عصر ، وتسير على وفق المقتضيات من حيث الحاجيات والكماليات ، متدرجة من الحاجي الى الكمالي ،

ان للعمران اصولا اذا احتفظ بها استبحر ، وزخر بحره ، وظهر امره ، واذا اهملت عفى اثره ، وانطمس خبره

كانت الامة العربية قبل الاسلام وقبل الاختلاط بالاقوام الاخرى ذات نظام اجتماعي خاص ولكن ذلك النظام لايرجع الى اصول عمرانية تبلغ به المستوى الذي بلغته عندظهور الاسلام في تعاليمه الراقية ، وقوانينه السامية ، وقد اعدها للتغلب على الامم المجاورة لها من الفرس والرومان والقبط والصقالبة والتي كان لها مدنية باهرة ، وبحر من الحضارة زاخر فما لبثت وقد ادال لها الاسلام دولاتها ، وملكها نواصي ملوكها ، وصوالجة سلاطينها ، وعروش قياصرتها ، وتيجان اكاسرتها ، ان مدت بابصارها الى استشراق ما في جو تلك الامم من الاصول العمرانية ، وما بحاضرتها من القواعد الاجتماعية ، فاخذت منها مالا ينافي تعاليم دينها القويم ، وما يجتمع مع اصوله في امري المعاش والمعاد

شعرت بعظم الحاجة الى تلك الاصول العمرانية وقد استتب له سياسة امم وشعوب مختلفة العناصر والاديان واحست بوجوب الاخذ

مما يلاءم الروح العامة التي افاضها عليها الاسلام ، واصول الاخلاق المطبوعة عليها من تلك الامم ، ورات ان النقطة المركزية للحصول على حل نظريات العمران والاجتماع ، هو ولوج ابواب العلم والفلسفة فاقتبست منهما مامزجت به مع المستفاد من الدين ، والمطبوع من الفطرة فكانت لها المدنية الاولى بين مدنيات الامم ، والحكمة العالية التي تلقى عنهم دروسها الاولية العالم غربيه وشرقيه سيرا بعامل القدوة واستهواء لتلك الروح العامة

اقتدى العرب بالامم ، ومشوا في السبيل الذي مشت فيه ، وسلكوا جواده اللاحبة وطرقه النافعة ، وكان الاقتداء اضطرارا تبعا للحاجيات والكماليات فكان لهم بذلك فضل تربية الامم وتعليم الشعوب

هذه هي الروح العامة التي تسير في الافراد والجماعات ، وتنفخ في الشعوب والامم ، هي التي قلبت في العصور الاخيرة هيئة العالم وبدلت اوضاعه من حيث الاجتماع والسياسة وغيرت شكله من حيث التربية والتعليم

نفخت في الشرق نفخة فدب في اقوامه نسيس الحياه ، وهب والقدوة تسيره اضطرارا الى تبديل اشكالها السياسية والاجتماعية والعلمية والاخلاقية

ان تلك الروح كما تؤثر في الامم من حيث شؤونها الصورية ، تحدث فيها التأثير نفسه من حيث الاحوال المعنوية ، وحيث اثرت في قلب هيئة التربية والتعليم في كثير من ربوع المشرق عامة ، وفي سوريا خاصة والقطر العاملي رقعة من رقاعها ، وهو اقرب من قاب قوسين او ادنى الى الحواضر والقصبات والمدائن والبلاد التي تغير فيها شكل التربية والتعليم

فقـد اثرت في نفوس ابنائه وان لم يكونوا بذلك التاثير بعالمين فرأوا ان العكوف على اصول التعليم القديم مع ما يقارنه من مثبطات الهمم وبعد مـدى التحصيل والذي لايفيد شيئاً في امر المعاش مضافا الى انحصار التعليم في النظريات وخلوه من روح التطبيق العملي وشعـور النفوس بالحاجة الى تعلم علـوم اخرى اصبح يرى نفسه من يغفلها هـو والجاهل سواء

نعم ان روح التعليم التي سرت في كثير من البلاد ناهجة منهج الجديد واخص مزاياها تقريب العلوم النظرية الدقيقة بفضل مناهجها الجديدة الى الافهام وتخرج مدارسها النشء المتعلم بمدة لاتبلغ العقد من السنين عالما متفننا عارفا بوجوه تطبيق العملي منه على النظري هي التي وقفت بالنشء العاملي موقف الجمود فاختار الجهل المطبق على تعليم لا ينيله مأربا ، ولا يبلغه مطلبا ، مضافا الى ماينظر اليه من المستقبل المظلم الذي يرى فيه المعيشه الاتكالية قضاء محتما عليه ، لايجد عنها مفرا ولا محيصا سيما وقـد تغيرت اوضاع المعيشة واشكالها تغيرا عظيما

الثاني السبب الاقتصادي . انّ المدارس العاملية لم تكن ذات نظام ، ولا كان التعليم فيها يخرج عن الاختيار ، ولذلك كان نصيب اكثر المتعامين النفع القليل والتحصيل الذي لايصح السكوت عليه هذا اولا وثانيا قد عرفت من تضاعيف هذه النبذة ان طلاب العلم كانوا فريقين المتوسط والفقير ولقد كانت وجوه المعيشة تضيق بالمتوسط فما بالك بالفقير الذي لا يملك شروى نقير ؟

نعم كان يتبلغ الفقير ببعض البلغة ولكنه لا يخرج بهـا عن منطقة الضرورة ولا كان يبلغه بغير المسألة ، وناهيك مايبعث ذلك في نفـوس

السائلين من الاتكال وفقدان الشمم ، وثالثا ان ما كان يرضى به المتوسط والفقير من النفقة القليلة بالامس لم يرض به اليوم ، وقد تغيرت وجوه المعايش سواء فيما يرجع الى المأكل والملبس ، او فيما يرجع الى المساكن ، او في كل حالة من حالاتها مضافا الى تصاعد اثمان كل شيء — رابعا — ان تكاليف الحياة اليوم غيرها امس وقد زادت اضعافها في جبل عامل ولما كانت القدوة كما عرفت آنفا سنة من السنن الاجتماعية المقررة فقد سرى اثرها في نفوس الضعفاء بالاقوياء واصبح اقتداء المتوسط بالغني والفقير بالمتوسط او بالغني من الامور الضرورية ، ولم تقنع كل طبقة بما كانت تقنع بها امس وطلاب العلم طبقة من الناس ، وجماعة من امة تغيرت هيئة تكاليف حياتها ، فاصبح لهم مثل ذلك التغيير حذو القذة بالقذة ، ولما كان اكثر الطلاب لا مورد لهم من موارد المعاش وقد شعروا بما تطلبه منهم الحياة الفردية والحياة العائلية التي سيصيرون اليها وتعليمهم لا يضمن لهم شيء من طرق الاكتساب والمعيشة الاتكالية مما تعافها النفوس الابية سيما في هذا العصر الذي هو عصر عمل وجهاد فقد انفل اكثرهم في لهوات العمل مع العاملين ، وفتح ابواب الهجرة الى ديار العالم الجديد (اميركا) وكثرة المهاجرين العامليين دفع بالكثيرين منهم الى المهاجرة تلمسا للرزق ، وارتيادا للثروة

الثالث السبب الاداري ان للادارة الحميدية يدا ظاهرة ، في تراجع العلم العاملي ، واقفال ابواب مدارسه ، وطموس معالمها

كان طلاب العلم يتوفرون على التحصيل والتعليم وهم يعلمون انهم يسئلون ، ولا يعفون من خدمة العسكرية ما لم يبرهنوا على استعدادهم امام هيئة تختبر تحصيلهم ولكن الادارة الحميدية ابطلت هذا الاختبار

وحسبت ابطاله رفقا بالطلبة ونصرة للعلم والعلماء فكان الامر على العكس حيث اصبح التعليم من جري ذلك اثريا خلوا من كل منفعة لانخراط الكثيرين في سلك الطلبة فرارا من خدمة الجندية واختلاط الحابل بالنابل ولم يميز المفضول من الفاضل فكان ابطال الامتحان ضربة قاضية على تلك البقية الباقية من التعليم العاملي وذهب بها اعادة الامتحان في العهد الجديد ولكن بعد ان صبت النفوس الى تغيير هيئة التعليم وامتدت ابصار العامليين الى الاقتداء بجاوريهم في كل مرافق الحياة وشؤونها الاجتماعية والاقتصادية. هذا ما اراه من اسباب تراجع العلم في قطرنا العاملي

فهل يعمل العامليون مع العاملين في ملاشاة تلك الاسباب ويسيرون في التعليم على مثال مجاوريهم حافظين لانفسهم مراقبة التعليم اذا كانوا يتخوفون على ناشئتهم نزع اصول اخلاقهم والذهاب بآداب دينهم اولا فمصير جبل عامل الى جهل مطبق حيث لا رجاء باعادة التعليم القديم والجديد منبوذ عندهم ؟ وهل يرون ترك التعليم البتة ام يدعون نشئهم يرتطم في حمأة الاخلاق الفاسدة ولا يحولون بين الكثيرين منه وبين الهجرة الى الديار الامريكية بمراعاة قواعد العمران والاجتماع والاقتصاد والا فأن من امثال اولئك المهاجرين وهم على غير بضاعة من علم وهدى وعلى غير بينة من جهاد الحياة ومرافقها البلاء النازل لجبل عامل والعامليين وتلك

منزلة ما خلته يرضى بها   لنفسه ذو أدب ولا حجى

يتبع

سليمان ظاهر

تنبيه

نشرنا هذه المقالة في العدد الال والثاني من جريدة جبل عامل وقد رأينا اثباتها في العرفان مفيدا فاثبتناها

معرض المشاهير

حياة البخاري

من المعلوم ان اعظم اثر محى من الكون دياجير الظلم، وانار للامم السبيل الامم وانام في امانه الانام، هو اثر دعوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد ظهر له في الكون ما ظهر، وادهش العالم بآياته الكبر، وكيف لا وقد بذل من القوة والجهاد لاخراج الناس من الظلمات الى النور، ما عرفته الامم في انحاء المعمور، فلم يدع صلوات الله عليه امرا مما فيه سعادة الدارين الا وبلغه وصدع به، وقاوم محاديه وارشد الى التمسك بسببه، حتى ظهر الحق وعلا سلطانه، وشمخت مكانته ورسخ مكانه، ولذا كان من اعظم معجزات هذا النبي المعظم، (صلى الله عليه وسلم) ان اصبح في مدة يسيرة اهل الجزيرة العربية، بعد ان طال امد تقاليدهم العمياء وضلالاتهم الجاهلية، علماء حنفاء، عقلاء حكماء، اولي علم وكياسة، وتقوى وسياسة

فنهضت انفسهم الى نشر لواء الدين، والدعوة الى سبيل الحق المبين، وكسر قيود الجبابرة وتقاليد الاحبار، واطلاق العنان للعقل في النظر والاعتبار، فساسوا بتلك الحكمة الباهرة والعلم الجم الامم المتباينة، وبلغ نور عدلهم وعرفانهم الاطراف المتنائية

ولما كان ركن الهدى النبوي الدعوة الى العلم والتنويه باولي الالباب والعلم، والسعي الى الحكمة والعلم، واخذ الحكمة من اي قائل للزيادة من العلم، نزعت بالسلف الهمة الى اقتناص العلم، وضرب اكباد الابل للعلم، وارتكاب الصعاب وامتطاء القنن والهضاب للعلم، وجوب الفيافي والقفار، واستسهال اقتحام لجج البحار للعلم، حتى صاروا ائمة الدنيا في العلم واعترفت من تزعم الان انها ارقى الامم مدنية للعرب وحضارة الاسلام في العلم

يظن كثير ان العلم في الصدر الاول كان في الصدور لا في السطور، ولعل قائل ذلك اراد عناية اولئك بحفظه ووعيه عن ظهر قلب لقلة الاتكال على الحفظ والمحفوظ

وهوحق الا ان العناية على التحقيق كانت بالصدور والسطور يدالك على هذا امر النبي (صلى الله عليه وسلم) بكتابة القرآن الكريم واذنه لعبد الله بن عمرو ابن العاص بكتابته احاديثه في الرضا والغضب وكتابة غيره من اصحابه الكرام الكثير من سنته في نصب الصدقات وارش الديات واذنه لابي شاه بكتابة خطبة الوداع في عرفات، الى غير ذلك مما هومعلوم ومشهور، نعم كان ما كتب من السنة المطهرة وجمع هو نزر بالنسبة الى المحفوظ ولم يكن ما كتب على تنسيق الترتيب المعهود الآن وانما نظم الترتيب في عهد التابعين لما انتشر العلماء في الامصار وظهرت اهل الاهواء والبدع فكان اول مجموع في العلم هو سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) وهديه واقواله وافعاله واقضيته واحكامه بأمر عمر بن عبد العزيز وسمي ذلك «بالحديث» تميزا له عن القرآن القديم وسمي حفاظه «المحدثين» قال السيوطي في التدريب : اما ابتداء تدوين الحديث فانه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز بامره ففي صحيح البخاري في ابواب العلم : وكتب عمر بن عبد العزيز الى ابي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء : قال الحافظ بن حجر في فتح الباري : يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي افاد ان اول من دونه بامر عمر بن عبد العزيز الامام ابن شهاب الزهري

ثم دونت السنن ممزوجة باقوال الصحابة وفتاوي التابعين وغيرهم . واول من جمع ذلك ابن جريج بمكة، وابن اسحق و مالك بالمدينة، والربيع بن صبيح وسعيد بن ابى عروة و حماد بن سلمة بالبصرة وسفيان الثوري بالكوفة، والاوزاعي بالشام، وهشيم بواسط ومعمر باليمن . وجرير بن عبد الحميد بالري . وابن المبارك بخراسان . وكان هوءلاء في عصر واحد فلا يدري ايهم سبق، وهوءلاء كانوا في اثناء المائة الثانية ثم تلا المذكورين كثير من اهل عصرهم .

وبالجملة فقد استفحل امر التأليف في السنّة وتفنن الحفاظ في جمعها (فمنهم) من رتب الحديث على اسماء الصحابة فخرج المسندات والمرفوعات الى النبي (صلى الله عليه وسلم)

ومنهم من ضم اليها الموقوفات على الصحابة وروى فتاويهم وفتاوي التابعين معهم (ومنهم) من رتب الحديث على ابواب الفقه

ومنهم من بوبه ورتبه ورأى ان لا يسند الا الصحيح وان يؤيده بما ينزل عنه معلقا له وان ينبه على ضعف الضعيف وخطأ الرأي المنابذ للسنة (ومنهم) من بوبه ورتبه واسند جميع ما روى في الباب صحيحا (ومنهم) من بوبه ورتبه واخرج كل ما روى في الباب صحيحا او غيره (ومنهم) من بوبه ورتبه واقتصر على اصح ما روي في الباب واشار الى بقية من رواه عن الصحب من طرف آخر وضم اليه فقه الائمة فيه

(ومنهم) من رتبه على معاجم الشيوخ الى غير ذلك من التفنن في التأليف الذي يقضيه ناموس العناية به والتسابق اليه لا سيا وفي الصدر الأول كانت دولة العلم للحديث والآثار ودولة الفخر والمجد لحملته وحفظته والمكثرين من تلقيه وتطواف البلاد لسماعه حتى كان يصبح الحافظ رحلة الناس من الآفاق وكعبة الطلاب والآخذين من اقاصي المعمور واذا عنيت الحفاظ بجمع الحديث وكثرت التآليف فيه كثرة مدهشة ما بين مجلدات الى اجزاء صغيرة في ورقات وتنوعت مع ذلك وجهة تحمل الحديث وجمعه

(فمنهم) من كان يتحمل عن كل راو ولا يبالي بما غمز فيه اورمي به حرصا على العلم في الوقوف على طرائف الاخبار وترائب النوادر والآثار

(ومنهم من كان يتحرى التلقي عن العدل الثقة ويطرح غيره (ومنهم) من كان يتوسط في الرجال فلا يغلو في التشديد فيهم ولا في الترخيص فيأخذ عن كل من لم يجمعوا على تركه ثم جروا في مسنداتهم بعد ذلك على مشاربهم (فمنهم) من جمع بين الصحيح والحسن والضعيف والمنكر واحال تميز ذلك الى طبقات الرجال المعروفة عند اهلها وما صنف في تعديلها وجرحها (ومنهم) من اقتصر على الصحيح وجانب غيره وهؤلاء (منهم) من تساهل في الاسناد والمعنعن فجعل له حكم الاتصال اذا تعاصر المعنعن ومن عنعن عنه وان لم يثبت اجتماعهما الا ان كان المعنعن مدلسا وهو ما جرى عليه الامام مسلم (ومنهم) تشدد فلم يحمل ذلك على الاتصال الا اذا اثبت اجتماعهما ولو مرة واحدة وهذا ما نحاه الامام البخاري وجرى عليه في صحيحه وصرح بهذا في تاريخه وبه يعلم ان الامام البخاري اشد المحدثين مذهبا في قبول الحديث فلا غرو ان لقب بأمير المؤمنين في الحديث وكان كتابه اصح كتب

الحديث وارقاها فاذاً لزم التعريف بالبخاري والتنويه بترجمة حياته وفلسفته في الحديث واجتهاده في الفقه وسيرته الجليلة

(الشروع في ترجمة الامام البخاري)

لا يبالغ المؤلف اذا قال : ان استيفاء ترجمة هذا الامام يحتاج الى اوقات كثيرة ، واستقراء مواد وفيرة ، يقل دونها مجلد ضخم الا ان ما لا يدرك كله لا يترك جله ويكفي من القلادة ما احاط بالجيد ومن ابيات القصيدة بيت القصيد ، وهذا ما نتوخاه في هذه الورقات مستعينين بفاطر الارض والسموات

نسب البخاري

هو ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بردزبه (بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها هاء هذا هو المشهور في ضبطه لفظ فارسي معناه الزراع كذا يقوله اهل بخارى) كان (بردزبه) فارسيا على دين قومه ثم اسلم ولده (المغيرة) على يد اليمان الجعفي واتى بخارى فنسب اليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى ان من اسلم على يده شخص كان ولاؤه له وانما قيل له (الجعفي) لذلك واما ولده (ابراهيم) فلم نقف على شيء من اخباره واما (اسماعيل) والد البخاري فكان من رواة الحديث ذكره ابن حيان في كتاب الثقات روى عن حماد بن زيد ومالك وصحب ابن المبارك واخبر عند موته انه لا يعلم في ماله درهما من حرام ولا درهما من شبهة ولما مات ابوه (اسمعيل) نشا (محمد) صغيرا في حجر امه ثم حج مع امه واخيه احمد (وكان احمد اسن منه ثم رجع الى بخارى فمات بها) واقام (محمد) بمكة مجاورا يطلب العلم

ولادته

ولد يوم الجمعه بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة (١٩٤) اربع وتسعين ومائة ببخارى

مبدء طلبه الحديث

قال الفربري : سمعت محمد بن ابي حاتم وراق البخاري يقول : سمعت البخاري يقول : الهمت حفظ الحديث وانا في الكتاب قلت وكم اتى عليك اذ ذاك قال عشر

سنين او اقل ثم خرجت من الكتاب فجعلت اختلف الى الداخلي وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ للناس سفيان عن ابي الزبير عن ابراهيم فقلت ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرني فقلت له ارجع الى الاصل ان كان عندك فدخل فنظر فيه ثم رجع فقال كيف هو ياغلام فقلت هو الزبير وهو ابن عدي عن ابراهيم فاخذ القلم واصلح كتابه وقال لي صدقت فقال له انسان : ابن كم حين رددت عليه : فقال : ابن احدى عشرة سنة (قال)فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هوءلاء يعني اصحاب الرأي (قال) ثم خرجت مع امي واخي الى الحج (فكان اول رحلته على هذا سنة (٢١٠)عشر ومائتين

رحلته وتنقله في البلاد

قال البخاري : دخلت الى الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة اربع مرات واقمت بالحجاز ستة اعوام ولا احصي كم دخلت الى الكوفة وبغداد مع المحدثين

عدة مشايخه

قال البخاري : كتبت عن الف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث واعلى طبقاتهم من حدثه عن التابعين وكان يقول : لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه ولما سمع من رفقاءه في الطلب ومن قوم هم في عداد طلبته في السن والاسناد سمع منهم للفائدة كما بسط الحافظ ابن حجر في المقدمة

سنة اول ما كتب عنه

قال ابو بكر بن ابي عياش الأعين كتبنا عن محمد بن اسمعيل وهو امرد على باب محمد بن يوسف الفريابى ء وكان موت الفريابى سنة(٢١٢)اثنتى عشرة ومائتين وكان سن البخاري اذ ذاك نحو من ثمانية عشر عاما او دونها

سعة حفظه

قال حاشد بن اسمعيل : كان البخاري يختلف معنا الى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى اتى على ذلك ايام فلمناه بعد ستة عشر يوما فقال قد اكثرتم

علي فاعرضوا علي ما كتبتم فاخرجناه فزاد على خمسة عشر الف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه وقال محمد بن الازهر السجستاني : كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخاري معنا يسمع ولا يكتب فقيل لبعضهم ماله لا يكتب فقال يرجع الى بخارى ويكتب من حفظه

وقال ابن عدي الحافظ : سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون : ان محمد بن اسمعيل البخاري قدم بغداد فسمع به اصحاب الحديث فاجتمعوا وارادوا امتحان حفظه فعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها الى عشرة انفس لكل رجل عشرة احاديث وامروهم اذا حضروا المجلس ان يلقوا ذلك على البخاري واخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من اهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمئن المجلس باهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري لا اعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ والبخاري يقول لا اعرفه وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون فهم الرجل

ومن كان لم يدر القصة يقض على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ ثم انتدب رجل من العشرة ايضا فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال لا اعرفه فسأله عن آخر فقال لا اعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا واحدا حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا اعرفه ثم انتدب الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من القاء تلك الاحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على لا اعرفه فلما علم انهم قد فرغوا التفت الى الاول فقال اما حديثك الاول فقلت كذا وصوابه كذا والثالث والرابع على الولاء حتى اتى على تمام العشرة فرد كل متن الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك فاقر الناس بالحفظ واذعنوا له بالفضل (قال الحافظ بن حجر) هنا يخضع البخاري

فما العجب من رده الخطأ الى الصواب فانه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما القوه عليه من مرة واحدة

وقال ابو بكر الكلوذاني : ما رأيت مثل محمد بن اسمعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة اطراف الاحاديث من مرة واحدة

وقال محمد بن حمدويه : سمعت البخاري يقول : احفظ مائة الف حديث صحيح واحفظ مائتي الف حديث غير صحيح

وقال ورّاقه له مرة هل من دواء للحفظ فقال لا اعلم شيئا انفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر

وقال البخاري ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في كتب اهل الرأي وما تركت بالبصرة حديثا الا كتبته

وقال : لا اعلم شيئا يحتاج اليه الا وهو في الكتاب والسنة فقيل له يمكن معرفة ذلك فقال نعم

سيرته واخلاقه

روى غنجار في تاريخه عن ابي سعيد بكر بن منير قال سمعت البخاري يقول : كنت استغلّ في كل شهر خمسماية درهم فانفقها في الطلب وما عند الله خير وابقى وقال مرة : ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه كنت آمر انسانا فيشتري لي قيل له ولم قال لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط

وحمل اليه بضاعة انفدها اليه ابوحفص فاجتمع بعض التجار اليه بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال اني نويت البارحة ان ادفعها الى الاولين فدفعها اليهم وقال لا احب ان انقض نيتي وقال ورّاقه كان البخاري يركب الي الرمي كثيرا فما اعلم أني رأيته في طول ما صحبته اخطأ سيفه الهدف الا مرتين بل كان يصيب في كل ذلك ولا يسبق

وقال وراقه ايضا : سمعته يقول لا يكون لي خصم في الآخرة فقلت ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون فيه اغتياب الناس فقال انما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند انفسنا وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) «بئس اخو العشيرة

وكان يقول ما اغتبت احدا قط منذ علمت ان الغيبة حرام : قال الحافظ بن حجر : وللبخاري في كلامه على الرجال توق زائد وتحر بليغ يظهر لمن تامل كلامه في الجرح والتعديل فان اكثر ما يقول سكتوا عنه . فيه نظر . تركوه . ونحوهذا

هذا وقل ان يقول كذاب او وضاع وانما يقول كذّبه فلان رماه فلان يعني بالكذب

(وقال وراقة) كنا بعزبر وكان ابو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقل اللبن فكنت اقول له يا ابا عبد الله انك تكفني ذلك فيقول هذا الذي ينفعني

(وقال) كان البخاري قليل الأكل جدا كثير الاحسان الى الطلبة مفرط الكرم وكان يقرأ في السحر ما بين النصف الى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر فيها بواحدة ، ورفع انسان من لحيته قذاة وطرحها الى الارض في المسجد فمد يده فرفع القذاة من الارض فادخلها في كمه فلما خرج من المسجد طرحها فكأنه صان المسجد عما تصان عنه لحيته

يتبع

دمشق جمال الدين القاسمي

الشيخ ملا كاظم الخراساني



ترجمة المرحوم المقدس حجة الاسلام الشيخ

ملا كاظم الخراساني

قدس سره

هو شيخنا واستاذنا العالم الكبير والمحقق المدقق النحرير مالك ازمة التحقيق والتدقيق مهذب الفروع والاصول جامع المعقول والمنقول الفقيه الاصولي الحكيم الماهر الماجد العديم النظير مربي العلماء والفقهاء الجامع بين الرياستين والفائز بالسعادتين رئيس الشيعة الامامية وفقيهها صاحب المصنفات الشهيرة النافعة في الفقه والاصول صرف جميع عمره في طلب العلم وخدمة العلماء والبحث والتدريس وتربية العلماء والتصنيف وافتاء المستفتين في اقطار الارض هذب علم اصول الفقه وميز قشره من لبابه ء معتدل الفهم حسن السليقة جيد الذهن حديد الفكر حاضر الجواب الا أن عبارته لا تخلو من صعوبة و كانت له طريقة في التدريس لاسيما في الاصول لم يشاركه فيها غيره فبينا المدرسون يصرفون الشهور في تحرير محل النزاع في المسألة ويذكرون فيه الوجوه والاقوال وشواهدها اذ تراه لا يصرف فيها وقتاً ابدا وكثيرا ما يقول ان كان محل النزاع كذا فالحق كذا وبالجملة درسه كان خاليا من الفضول مقصورا على اللباب دون القشور ولذلك انتفع به العدد الكثير من الطلاب وخرجت عنه العلماء المحققون والفقهاء المدققون الذين لا يحصون كثرة وكان ما عليه ويحققه من المسائل في الشهر لا يفرغ منه بعض المدرسين في السنة فلذلك كان درسه مرغوبا عند الكل ويجتمع في مجلس درسه ما لا يجتمع في غيره وله وقت خاص يحافظ عليه فلا يتقدم دقيقة ولا يتاخر فاذا حضر قبل الوقت ولو بيسير لم يشرع ولو تكامل عدد الطلاب حتى يحضر الوقت المعين وكان يجلس على منبر الدرس وحوله المئات والالوف ولا جلوس الملك على سرير ملكه فيهدر كالفنيق الهائج ويزأر كالاسد الغضبان ويسطو على المطالب الغامضة فيظهر مكنونها ويمزق ثوب الاشكال عنها ويجيب عن شبهات الموردين من اهل مجلس درسه من هنا ومن هنا باسرع من لمح البصر وينتقل الى شبهتهم بادنى اشارة واذا احتدم النزاع وكثر الجدال وعلت الاصوات اسكت الجميع بصولته وهيبته فلا متنفس ولم يكن يفتر عن الاشتغال بالعلم في ليل ولا

نهار ولا سفر ولا حضر حتى انه كان اذا سافر الى كربلا لزيارة الحسين عليه السلام في اول رجب وبقي الى النصف منه يعقد مجلس الدرس في كربلا تلك المدة فيجتمع فيه الجم الغفير من تلامذته وغيرهم وكذلك لا يترك التدريس في ليالي شهر رمضان المبارك لكنه يشتغل في ذلك الوقت ببعض المسائل المشكلة لا بدرسه المعتاد وكان له شريك في درس شيخه الآتي الذكر من ابنـاء العلماء اكبر منه سنا فلما استقل صاحب الترجمة بالتدريس قال له المذكور الم نكن في درس واحد فكيف صرت بهذه المنزلة فقال له الشيخ سرنا وقعدتم

مشائخه

عمدة مشائخه رئيس علماء الشيعة ومعولها في وقته مربي العلماء المرحوم المقدس حجة الاسلام الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي طاب ثراه القليل النظير في جميع صفاته واحواله فهو الذي اورده مناهل العلوم وسن له سنن التحقيق والتدقيق ونوه باسمه ورفع من قدره مع ماصادف ذلك من جده وكده ثم انه استقل بالتدريس في حياة شيخه المذكور بعد سفر شيخه الى سامراء وتوطنه بهـا واقبلت على درسه طبقات الفضلاء واصناف العلماء حتى اصبح الدرس الوحيد سيما في علم اصول الفقه في اوائل امره فضلا عن اواسطه واواخره فاملى وصنف المصنفات النافعة التي اشتهرت في زمانه ودرست وطبعت وبعضها طبع مرارا واجتمعت تحت منـبره الالوف من العلماء والفضلاء وما زال شيخه المذكور يعينه بالمال طول حياته

تلامذته

اما تلامذته فلا يحصون كثرة ولو قال قائل ان جميع فضلاء العرب والعجم في زماننا هذا عدا عن رفقائه وامثالهم هم ثمر غرسه ونتيجة علمه ودرسه لم يكن مبالغا فكلهم منه سمعوا وبعلمه انتفعوا ومنـاهل فضله وردوا وعلى نهج تحقيقه وتدقيقه درجوا وبفضل تهذيبه للمسائل وتقريبه الطريق اليها وصلوا وقد كان يجتمع في حلقة درسه الالوف من الطلاب وجل تلامذته علماء فضلاء محققون مشهورون بالعلم والفضل وحسن الطريقة ببركة انفاسه وحسن طريقته في تعليمه حضرنا درسه عدة سنين وانتفعنا ببركة انفاسه جزاه الله عنا خير الجزاء

مصنفاته

١ه حاشيتان على رسائل المرحوم المقدس الشيخ مرتضى الانصاري مختصرة ومطولة والثانية مطبوعة في ايران مرغوبة مشهورة بين الطلاب . حاشيته على مكاسب المذكور مطبوعة في ايران مشهورة ايضا . كفاية الاصول في جزأين لطيفين حوت جميع مسائل علم الاصول من مباحث الالفاظ والادلة العقلية وجميع انظاره وتحقيقاته باخصر عبارة واوجز بيان وهي اليوم تدرس بالنجف الاشرف وغيره ولعلها ستكون المعول في التدريس الاصولي طبعت اربع مرات ثلاثا في ايران وواحدة في بغداد مع بعض حواش للمصنف وحاشية لبعض فضلاء العصر وهي مع ذلك عزيزة مرغوبة غالية الثمن كسائر كتبه . مصنف في الفقه على ما اظن . تعليقات على عدة من الرسائل العملية الى غير ذلك

اولاده

خلف من الاولاد الذكور ثلاثة (١) فيما اعهد كلهم علماء فضلاء

مولده ووفاته

ولد ببلاد العجم واصل ابيه او جده من هراة ثم سكن خراسان ولم يقع الينا تاريخ مولده ولم تمكنا الفرصة الآن من الاستعلام عنه لكنه قد بلغ سن الشيخوخة يقينا وناهز الثمانين (٢) فيما يظن وكان قد جاء الى العراق بقصد طلب العلم فتوطن في النجف الاشرف الى ان قبض بها ليلة الثلاثاء الحادية والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٩ تسع وعشرين بعد الثلاثمائة والف في الساعة السادسة منها اي قريبا من منتصف الليل بغير سبق مرض وكان عازما على السفر في صبيحتها الى بغداد والكاظمية مع جماعة علماء النجف الاشرف الاعلام بقصد الاجتماع في الكاظمية بعلماء كربلا والكاظمية وسامراء للمداولة في امر دفع الروس عن بلاد ايران فانهم تهددوها بالاحتلال وجاءت الاخبار باحتلالهم مدينتي تبريز ورشت ووقوع مناوشات بينهم وبين اهل تبريز ففاجأته المنية وارفض عقد ذلك الجمع الذي كان هو واسطته وشغل الناس باقامة المآتم عليه وعقد مجالس الفاتحة في جميع الاقطار العراقية وغيرها وكان فقده خطبا جليلا ومصيبة عظيمة على عموم المسلمين وهذ

(١) وهم الميرزا مهدي والشيخ محمد والميرزا احمد

(٢) قلنا في الجريدة ان مولده سنة ١٢٤٧ فيكون سنه ٨٣ سنة

بموته ركن عظيم من اركان الدين وحصن منيع من حصون الدولة الايرانية وثلم في الاسلام ثلمة عظيمة وفتت مصابه الاكباد وفت في الاعضاد تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه واسكنه اعالي جنانه ولا ندري ما ذا يفعل العلماء بعد هذا في امر دفع الروس وغيرهم عن بلاد ايران نساله تعالى ان ينصرهم وجميع المسلمين على اعدائهم ويجمع كلمة المسلمين ويرفع من بينهم التنازع والاختلاف انه سميع مجيب وحين جاءنا نعيه ونحن بدمشق عظم علينا المصاب وزاد الحزن والاكتئاب ورثيته بهذه القصيدة

الارض مادت والسماء تمور جزعا وحجب بالظلام النور
جبل تصدع بعد ماحك السهى وله تصاغر يذبل وثبير
بحر كما بالعلم غيضه الردى كادت له السبع البحار تغور
متلاطم الامواج لو قيست به السبع البحور فما البحور بحور
نبأ عظيم طبق الدنيا اسى كادت لموقعه القلوب تطير
ليل الثلاثا اي داهية دهت منك الورى لا شق فجرك نور
غيبت عن افق الشريعة شمسه فالجهل باد والهدى مستور
بك نكست اعلام شرعة احمد قسرا ولف لوائها المنشور
غيبت عنا كاظم الغيظ الذي عز المثيل له وقل نظير
وثلمت في الاسلام اعظم ثلمة تمضي عليها اعصر ودهور
فلتبكه حزنا شريعة احمد فاليوم اغمد سيفها المشهور
وليبكه الدين الحنيف فقد مضى حامي حماه وماكه المنصور
وليبكه الشرع الشريف فقد قضى محييه لما ان عراه دثور
وليبكه العلم المنيف فقد ثوى من عنده المعقول والمأثور
ولتبكه الاقلام لما عطلت فاليوم لا يلفى لهن صرير
ولتبك اسفار العلوم فما لها بين القلوب وبينهن سفير
ولتبكين محافل ومنابر ودفاتر ومحابر وسطور
ولتبكين علوم آل محمد فاليوم غيض بحرها المسجور
كم موقف هدرت شقاشقه به فاليوم لا يلفى لهن هدير
ولكم جثا من فوق ذروة منبر فكأنه ليث هناك هصور
يجري كمنحدر السيول طلاقه وله اذا احتدم الجدال زئير

علي على سمع الالوف بدائعا فكأنها در هناك نثير
يرمي اذا سبل المطالب اشكلت فيها بثاقب فكره فتنير
كانت اصول الفقه ذات تشعب ينتابها التطويل والتكرير
ولبابها بالقشر ممتزج فلا يمتاز لب خالطته قشور
فاتى فهذبها فكل فروعها غض وكل غصونهن نضير
فشهوره الاعوام حين يفيدها الـ طلاب والايام منه شهور
والقطب كان لها وليس على سوى الـ قطب الرحى في العالمين تدور
ما ان له الا الكتاب مصاحب كلا ولا غير العلوم سمير
وجرى الى الامد البعيد محلقا للريح عن ادنى مداه قصور
ومضى وخلف في الانام مآثرا عنهن طرف النيرات حسير
لما راى ايران اظلم جوها فالجور فاش والفساد كثير
رام انتشال بلادها من هوة ونجاتها لو ساعد المقدور
فاليوم قد لبست ثياب حدادها حزنا وخالط صفوها التكدير
ما رام الا ان يقل الظلم والـ معسور لم يسقط به الميسور
يا حامي الاسلام كيف تركته ولهان ليس له سواك نصير
جاورت ربك في الجنان مخلدا تلقاك فيها نعمة وحبور
ورحلت من دار الفنا فاستبشرت بلقاك ولدان هناك وحور
ما كنت احسب قبل يومك ان ارى جبلا على ايدي الرجال يسير
ما كنت احسب قبل يومك ان ارى بحرا خضما في التراب يغور
لا يشمتن عداك موتك انه نهج جميع الخلق فيه تسير
واليك من درر القريض قصيدة يعنو الفرزدق عندها وجرير
فعسى اكون لبعض حقك قاضيا فعلي حقك في الزمان كبير
درر بها شنفت قبل مسامعي فبمثلها طرفي عليك يفور
فلأشكرنك ما تطاول بي المدى والناس فيهم شاكر وكفور
حيّ ثرى واراك من ديم الرضا غر الغمائم ماؤهن غزير

هذا ما وفق الله تعالى لجمعه من ترجمة احواله اعلى الله درجته

دمشق محسن الامين الحسيني